

صن أدب الهند

٢ - الأمير خسرو

الشاعر الهندي الكبير

بقلم السيد أبو النصر أحمد الحسيني

الهندي

قبل أن تلقى نظرة في شعر 'خسرو' يجدر بنا أن نبين معنى الشعر والفرس منه في صورته المختلفة عند كبار المفكرين حتى يتمكن القارئ من الحكم على شعره بما هو خليق به

قال جانسون : إن الشعر هو توحيد اللذة مع الحق ، يدعى فيه الخيال لمساعدة العقل . وعند استيوارت مل : الشعر هو ما يتوقف على الفكر والكلمات التي تجتمع العاطفة فيها من لقاء نفسها . وقال ميكاليه : إننا نعني بالشعر استعمال الكلمات بطريق أن يوجد الوهم على التخيل ، وهو فن يعمل فيه الشاعر بالكلمات ما يعمل الرسام بالألوان . وقال الأستاذ كورتهوب : إنه فن إيجاد اللذة بالتعبير الصحيح عن الفكر الخيالي والعاطفة في كلام موزون . وقال الشاعر نظامي العروضي السمرقندي من المسلمين : إنه فن يرتب به الشاعر القضايا الخيالية ويخلطها بالتشبيهات المثمرة ، ليستطيع أن يظهر الصغير كبيراً ، والكبير صغيراً ، أو يظهر الخيز في لباس الشر والشر في لباس الخير

نستنبط من التعاريف المذكورة المختلفة للشعر ، أن الشعر هو تمبير عاطفي خيالي عن الحياة كما تصوغ نفسها في فكر المعبر - هو مماثلة الحقائق والتجارب والمسائل بطريق يسود فيه العنصر الخيالي . والشعر ينقسم إلى قسمين : داخلي أو شخصي ، وخارجي أو غير شخصي . ففي الأول يوجه الشاعر جل عنايته إلى نفسه يستوحى ويستلهم عواطفه الخاصة وتجاربه الذاتية . وفي الثاني يتوجه إلى غيره يعامل العالم الخارج عن نفسه بغير الاستناد إلى ذاته وشخصه . والأول يشمل جميع أسام الأناشيد والشعر الثنائى مثل الغزل والنسيب وأناشيد الوطنية والروحانية الخ ، كما يشمل الشعر الفلسفي والفكري . وأما الثاني فينقسم إلى قسمين : قصصي وتمثيلي . فالشعر المختص بالملاحم والفروسية

والأساطير من أهم أصناف الشعر القصصي . والتمثيلي هو ما يقدم لك صوراً واضحة لسجاي الأشخاص المختلفة ، وأخلاقهم في حكاية تمثل

في ضوء هذه التعاريف للشعر وأصنافه ونواحيه المترامية الأطراف حين تلقى نظرة على شعر خسرو نجد أن عبقريته الشاملة لم تترك نوعاً من أنواعه ولا ناحية من نواحيه إلا باشرتها بالاجادة والابداع . فهو قد أتقن جميع أنواع الشعر اتقاناً حقيقياً . وأنتجت قريحته في جميع نواحي الشعر إنتاجاً نال استحسان كبار الشعراء والنوابغ في زمنه وفيما بعد . وهذه مزينة لم توجد في غيره . فان غيره من شعراء اللغة الفارسية لم يقدر أحد منهم لا قبله ولا بعده ، ولا في الهند ولا في بلاد فارس ، أن يقول الشعر ويحاكي إلهامه الشعري في أكثر من صورة واحدة أو صورتين من أنواع الشعر

فلوك الشعر الفارسي يعدون ستة : فردوسي ، وسعدى ، وأنورى وحافظ ، وعرفى ، ونظيرى . ولكن مملكة كل منهم لم تمتد حدود نوع واحد من أنواع الشعر . فالفردوسي لم يقدر أن يتجاوز حدود الثنوى ، وتصنيفه فيه هو الملحمة الكبيرة المسماة شاهنامه ، وقد نشر ترجمتها بالبريئة صديقنا الأستاذ عبد الوهاب عزام . وسعدى كان ملك الغزل ، ولكنه لم يقدر أن يجيد القصيدة ولا الثنوى ، كما أن براعة أنورى كانت محدودة في القصيدة ، ولم تكن قادرة على الغزل الثنوى . كذلك حافظ ونظيرى وعرفى كانوا نوابغ في الغزل ، وغير قادرين على أنواع الشعر الأخرى . ولكن ذكاه خسرو الجامع المتسع لم يقتصر على واحد منها بل تناول « غزلاً » كما تناول « مثنوياً » وعالج « قصيدة » كما عالج « رباعياً » بغاية الاجادة والاتقان في جميع نواحيها ، حتى لم يترك الأصناف الصغيرة الأخرى من الشعر الفارسي مثل « مستزاد » و « صنابع » و « بدايع ^(١) »

هذا من حيث أنواع الشعر ، وأما من حيث كمية الانتاج ، فنجد أنه لا يوجد له ند في ذلك أيضاً . فان عدد الأبيات للفردوسي لم يزد على ثمانين ألفاً ، كما أن عدد الأبيات للشاعر الفارسي صائب لم يزد على ألف ، ولكن ما جادت به قريحة خسرو يبلغ بضع مائة ألف بيت . فقد ذكر غير واحد من المؤرخين في

(١) إن « غزل » و « قصيدة » و « مثنوى » و « رباعي » و « مستزاد » و « صنابع » و « بدايع » كلها أنواع الشعر الفارسي ، فن أراد التفصيل فليراجع تاريخ الأدب الفارسي للأستاذ براون المجلد الثاني

فيه منهج « سكندرنامه » للنظامي وعدد أبيانه ٤٤٥٠ بيتاً
(٥) هشت بهشت : أعنه في أوائل سنة ٧٠١ هجرية وقد منهج
فيه منهج « هفت بيكر » للنظامي ، وعدد الأبيات فيه ٣٣٨٢ بيتاً
وهذه الكتب الحمة المذكورة يقال لها « بنج گنج »
أو « خمسة خسرو » تدل على سرعة إنتاج المؤلف إذ هي تحتوي
على ١٧٩٢٦ بيتاً وقد صنفها في سنتين ونصف سنة . وللنظامي أيضاً
خمسة كتب في نفس الموضوع ، ولكن أكثر الشعراء رجحوا
« خمسة خسرو » على « خمسة نظامي » . ومنهم عبد الرحمن
جاي فانه قد رجحه في كتابه « بهارستان »

(٦) قران السعدين : صنفه في سنة ٦٨٨ هجرية حينما كانت
سنه ٣٦ سنة عن طلب السلطان معز الدين كيقباد ، وهو يحتوي
على حكاية مقابلة كيقباد لأبيه بفرخان مسالم مع خروجه له محارباً
(٧) تاج الفتوح : ملحمة تحتوي على حكاية فتوحات
السلطان جلال الدين خلجي صنفها في سنة ٩٠ - ٦٨٩ هجرية
(٨) نه سهر (أي الأفلاك التسعة) صنفه في سنة ٧١٨
للسلطان قطب الدين خلجي ، فسربه كثيراً وأنعم عليه بفضة
تساوي وزن الفيل كما قيل

(٩) دَوْل راني خضرخاني : وهو يحتوي على بيان حب
خضرخان بن السلطان علاء الدين لدول راني بنت راجا بكرات
وانتهائه بالزواج

٢ - من نوع الغزل

(١٠) تحفة الصغر : يحتوي على شعره الذي قاله بين ١٦
و ١٩ من سنه ، ويشمل الغزل والنسيب
(١١) وسط الحياة : يحتوي على شعره الذي قاله بين ٢٠
و ٣٣ من سنه
(١٢) غزوة الكمال : يحتوي على شعره الذي قاله بين ٣٤
و ٤٤ من سنه ، وقد كتب في مقدمته ترجمة حياته بالابحاز

٣ - من نوع القصائد

(١٣) بقية نقيه : يحتوي على شعره إلى سنة ٧١٥ هجرية
وفيه رثاء السلطان علاء الدين خلجي أيضاً
(١٤) نهاية الكمال : يحتوي على شعره في آخر سنه ، وفيه
رثاء السلطان قطب الدين خلجي وقصيدة في مدح ولي عهده
(١٥) جواهر البحر : لم أره
(١٦) خزانة الفتوح : صنفه للسلطان علاء الدين خلجي

كتبهم أن عدد الأبيات الفارسية له يتراوح بين ثلثائة وأربعمائة
ألف . وفي بعض الروايات ستمائة ألف

كان خسرو يجيد بضع لغات إجادة تامة . فكان يتقن
التركية لأنه كان من أصل تركي . والفارسية لأنها كانت لغة
دينه ، والأردية لأنها كانت اللغة الشائعة بين الناس . ولم
يكن خسرو جاهلاً السنسكريتية لغة جيرانه الوثنيين المقدسة .
فقد اعترف في كتابه « نه سهر » بكل تواضع حيث قال :
« عندي إلام بتلك اللغة أيضاً » . وعلى ذلك لم يكن خسرو
شاعراً بالفارسية فقط ، بل باللغات الأخرى أيضاً . بيد أن أكثر
آثاره قد ضاع ولم يبق إلا القليل الذي بالفارسية والأردية

بعد خسرو من مؤتلف شعراء اللغة الأردية ، لأنها كانت
حيث في دور التكوين . فقد غناها بالأنشيد والنكت والطرائف
والكتب الدراسية للأطفال شعراً ، ولا تزال شائعة بين الهنود
وإن مر عليها أكثر من ستة قرون . وقد ذكر المؤرخ أوحدي
في كتابه « تذكرة معرفت » أن إنتاج خسرو في اللغة الأردية
يساوي إنتاجه في الفارسية . فان صح ذلك فمن الأسف أن لم يبق
من ذلك الأثر العظيم الا نزر يسير

لم يكن خسرو شاعراً فقط ، بل كان فائراً كذلك وان قل
إنتاجه في النثر بالنظر إلى إنتاجه في الشعر ، فله غير واحد من
الكتب الضخمة نثراً . اعترف أهل الفن بطول بابه فيه أيضاً .
وجميع منظوماته باللغة الفارسية التي توجد في الهند هي كما يلي : -

١ - من نوع المستوي

(١) مطلع الأنوار : نظمه في مدة أسبوعين في سنة ٦٩٨
هجرية وهو في التصوف ، وقد منهج فيه منهج نظامي (الشاعر
الفارسي الشهير) في كتابه « مخزن الأسرار » ويحتوي على
٣٣١٠ أبيات

(٢) شيرين وخسرو : نظمه في نفس سنة ٦٩٨ هجرية وهو
يحتوي على حكاية عشق خسرو^(١) لشيرين وكلاهما من أبطال
الحب في الأدب الفارسي مثل مجنون وليلي في الأدب العربي .
وعدد الأبيات فيه ٤١٢٤ بيتاً

(٣) ليلي ومجنون : صنفه في نفس السنة المذكورة وهو يشتمل
على ٢٦٦٠ بيتاً

(٤) آبن اسكندري : صنفه في سنة ٦٩٩ هجرية ومنهج

(١) ان خسرو هذا غير شاعرنا المترجم هنا